شارلس لام يروى عن شاكسبير

٣ ـ قصة الشـــتاء

بقلم الأستاذ دريني خشبة

تتمـــة

والتفت الملك إلى فلوريزيل يقول : « مرحباً بك يا ابن أعز الأحباب وأوفى الأصدقاء ! لقد فقدت محبة أبيك الذى أهفو إليه وأحن له ، وبنفسى ما ألقى من الشوق للقائه ! ولكن ... بحسبى أن أنظر اليك فكأنما أنظر إليه ... وبحسبى أن أنظر إلى الأميرة الجميلة ، فكأنما أنظر إلى هرميون !

— ومن هرميون يا مولاى ؟

— هرميون ! ويلاه علىّ ! إنها زوجتى المغفور لها يا بنى ! لقد ماتت منذ ست عشرة سنة ... وفقدت كل شىء بموتها ! حتى ابنتي الوحيدة التى لا أعلم أين تعيش اليوم إن كانت ما تزال حية ! آه يا هرميون ! لشد ما تشبهك هذه الأميرة الصغيرة ! ولشد ما تنطبق صورتها على صورتك فى ذهنى المعذب بذكراك ! آه يا بُنيتى ! أين أنت اليوم لأفتديك بملكى ونفسى ! »

ثم انحدرت عبرات من عينى الملك ، فازدحمت الآلام فى قلب الراعى ، وتأكد أن ابنة الملك هى پرديتا الحبيبة التى وجدها فى الغابة ؛ ثم جعل يستعرض براهينه ، فذكر الجواهر التى كانت الواحدة منها تشرى له قطيعاً بأكمله ، وأيقن أنها لا تكون إلا مما يقتنى الملوك ... ثم ذكر ما هو مكتوب فى الورقة فلم يزده إلا ثقة فى حقيقة ما حدس ...

وتقدم الراعى إلى الملك واستأذنه فى الحديث فأذن له ، فأخذ يسرد قصة پرديتا كيف تركها رجل فى ظل دوحة على الشاطئ البوهيمى ، وكيف قتل الدب هذا الرجل واغتذى به ، ثم كيف سمع الطفلة تبكى وتئن من البرد والجوع ، وما كان من ذهابه بها إلى زوجته ، وما وجده فى ثيابها من الجواهر واللآلئ وغالى الحلى ، وما وجده مكتوباً فى ورقة مثبتة فى صدرها بدبوس

ولم يكد الراعى يبرز الورقة وما تبقى معه من الجواهر ، ولم يكد الملك ينظر إلى الجواهر فى يديه ، حتى أهرع إلى پرديتا وهو يصيح : « ابنتى ! ابنتى ! تعالى يا پرديتا ! تعالى إلى صدر أبيك الشقى ! » ثم ضمها إلى صدره ، وراح ينشج نشيجاً مؤلماً ويذرى عبراته الحرار على صدر الفتاة المشدوهة ، التى تركت نفسها حائرة مستريبة فى حضن الملك ، وهى لا تفهم من هذا المشهد المؤثر شيئاً مطلقاً ...

إذن قد عرف الملك جواهره التى أهداها بيديه إلى هرميون ليلة زفافها ! فهذه آية لا يسمو إليها الشك ...

وكانت پولينا — زوجة أنتيجونوس حاضرة — وهى التى حملت پرديتا من السجن لتلقى بها بين يدى الملك — فلما أخذت الورقة من يد الراعى لم تشك فى أنها هى نفس الورقة التى كتبها زوجها[1] وثبتها بيده فى ثوب الطفلة... فكانت هذه آية أخرى . وبالرغم مما علمت پولينا من أمر زوجها ، وما صنع به الدب ، فانها فرحت بعودة پرديتا فرحاً أنساها أشجانها

وآية ثالثة ... فقد ذكر الملك الشطر الأخير من نبوءة دلفى « سيعيش الملك بلا وارث إن لم تعد إليه طفلته المفقودة ! » فأيقن أنها هى ، وأن أپوللو لم يكذب !

وفى هذه الثورة الهائلة من الوجد الجارف ، والذكريات المؤلمة ، تقدمت پولينا إلى الملك ببشرى رائعة !

ذلك أنها كانت قد حرست على تخليد ذكرى هرميون ، فكلفت المثال الصناع الشهير چوليو رومانو بنحت تمثال للملكة المغفور لها ، فجاء التمثال طبقاً لهرميون الخالدة ، ثم توسلت إلى الملك أن يتفضل فيذهب إلى منزلها ، ليرى أن تمثال هرميون هو صورة حقيقية لپرديتا !

(١) ذكرنا أن هرميون هى التى كتبت هذه الورقة ولكنا عدنا إلى قصة شاكسبير نفسها فعلمنا أن أنتيجونوس هو الذى كتبها

وذهب الجميع الى بيت بولينا ... وأزاحت بولينا الستار فبدا التمثال الرائع ... ووقف الملك مسبوهاً أمامه يتأمله ...

وذكر الملك أن هرميون تبدو فى التمثال أكبر من سنها الحقيقية ، فلفتته بولينا إلى أن المثال قد أضاف الى عمر هرميون هذه الست عشرة سنة !

ولاحظت بولينا ما انتاب الملك من الحزن ، فاستأذنته فى إسدال الستار على التمثال ... وهنا — يدور هذا الحديث الباكى :

— لا ... لا تستدلى الستار يا بولينا ! ليتنى مت قبل هذا !! أنظريا كاميللو ؟! ألا ترى إليه كأنه يتنفس يا صديق ؟! ألا ترى إلى عينيها كأنما تتحركان وترنوان ؟! ... لا تسدلى الستار يا بولينا ! إنى أحس كأن عشرين سنة تتكلم من فم هذا التمثال ! أوه — هاهى ذى الحياة تدب فيه ! فياللناحت الذى يضع الأنفاس فى الصخر ؟! ليهزأ بى من يهزأ ، فلا بد أن أقبل الشفتين الحمراوين !

— مولاى ... حاشاك يا مولاى ... إن الزبد ما يزال غضاً وقد تعلق الحمرة بفمك ! فلا تسدل الستار ، فهذا خير !

— لا ... ليست هذه السنون العشرون ! »

وبينما كان الملك يتكلم ، كانت برديتا الحزينة ساجدة أمام التمثال تبكي وتصلى ، وتتمتم باسم أمها الميتة

وتوسلت بولينا إلى الملك مرة ثالثة فى أن تنزل الستار على التمثال رحمة به ... « وإلا ، فأذن لى يا مولاى أن آمر التمثال فيتحرك ويتكلم ، فإنى قد عُلّمتُ من السحر ما أصنع به هذا ! »

وعجب الملك ، ثم أذن لها ... « لأنى مستعد أن أرى بعينى وأن أسمع بأذنى ! »

وهتفت بولينا بأسماء كثيرة ، فسمع الواقفون موسيقى عذبة تنسكب فى آذانهم وتدب منها فى أرواحهم ، ثم أشارت إلى التمثال فنزل من فوق قاعدته المرمرية ، وخطر نحو الملك ، ثم ألقى ذراعيه على عنقه وقبله ... وضمه فى حنان وعطف ، وتركه وتوجه نحو برديتا فاحتضنها كذلك ، وطبع ألف قبلة على خديها وفمها وجبينها ، ثم جعل يتكلم فيقول : آه يا ابنتى ! الحمد للآلهة فقد عدت أخيراً إلىّ ! ... »

مرحى بولينا مرحى !!!

لم يكن هذا تمثالا كما زعمت بولينا ، بل كانت هرميون نفسها !

إى والله ! كانت هرميون لأنها لم تمت ، كما زعمت بولينا للملك ، لكى تنقذ الملكة من سجنها السحيق ، ومن مأساتها الدامية

وعاشت هرميون مع بولينا طوال هذه السنين مفضلة ألا تعود إلى الملك الذي تأكد من براءتها ، لأنها لم تشأ أن تغفر له ما صنع بابنتها ... فلما أُعلن عن عودة برديتا ، دبرت بولينا هذا اللقاء العجيب !

* * *

وفزع بوليكسينز لما علم من هرب ولى عهده . وتأكد أن كاميللو أبق به إلى صقلية ، فاقتص آثارهما — فيا لحاسن الصدف ؟!

لقد وصل بوليكسينز فى هذه اللحظة السعيدة التى التقى فيها الأحباب ، واطمأنت عندها القلوب !

وعرف أن برديتا لم تكن راعية شاء ولا رفيقة بُهْم ... وأنها ابنة صديقه الأعز ملك صقلية ، فلم يكن أحب إلى نفسه من أن تكون زوجة ولى عهده .

دريني خشبة

النمـــوذج

كتاب الأدباء الناشئين

تأليف

محمد جلال

رئيس قلم الترجمة بوزارة الزراعة بالقاهرة

خريج مدرسة المعلمين العليا ومدرسة الحقوق الملكية

تجد فيه المواقف المسرحية والمخلوقات التى تصلح

للقصص والروايات

كما تجد فيه الانفعالات النفسية وفلسفة الضحك ومثيرات

الضحك لمن يريد أن يكون كاتباً فكاهياً

الثمن خمسة وعشرون قرشاً

يطلب من المؤلف بشارع الأخشيد رقم ٤ بالروضة

أو من أى مكتبة شهيرة

إذا شئت أن تكتسب بقلمك اقرأ النموذج